

المحاضرة الرابعة

دراسة موجزة عن مصنفات القرن الثاني الهجري:

موطأ مالك أنموذجا .

أولاً : التعريف بالإمام مالك

لقد كتب الكثير عن الإمام مالك رحمه الله، وأفضل من كتب عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك، مما يعني عن الإعادة، ولكن لابد من إلماع ولو مقتضبة عن حياته رحمه الله تعالى.

1: نسبه ومولده ووفاته:

هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس الجميري ثم الأصبحي المدني، ولد سنة: 93هـ. ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، وله أربع وثمانون سنة.

2: نشأته وطلبه للعلم:

نشأ رحمه الله في صون ورفاهية وتكمل -كما قال الذهبي-، وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصدته طلبه العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، إلى أن مات.

أخذ عن شيوخ عدة، وتتلذذ على يديه خلق كثير لا يحصون كثرة. وهم أئمة البلاد.

3- مصنفاته:

ترك مصنفات نافعة ومفيدة، منها:

- الموطأ، رسالة في القدر كتبها إلى ابن وهب، "مؤلف في النجوم ومنازل القمر"، رسالة في الأفضية، "رسالة إلى أبي غسان بن مطرف"، "جزء في التفسير".

وأما ما نقله عنه كبار أصحابه من المسائل والفتاوى والفوائد فشيء كثير.

4: ثناء العلماء عليه:

- قال الشافعي: "العلم يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وابن عيينة"¹. وروي عن الأوزاعي أنه كان إذا ذكر مالكا يقول: "عالم العلماء، وعالم أهل المدينة، ومفتي الحرمين"². وقال ابن معين: "مالك من حُجج الله على خلقه".

¹ - سير أعلام النبلاء للذهبي: 8 / 94.

² - شرح الزرقاني على الموطأ 1/55.

ثانياً: التعريف بالموطأ ومنهج مالك فيه

1- وجه التسمية بالموطأ

سمي بذلك لأمرين:

- لأنه وطأ به الحديث أي يسره للناس.
- لمواطأة علماء المدينة له فيه وموافقتهم عليه قال الإمام مالك: "عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته: الموطأ".

2- عدد أحاديث الموطأ:

اختلف في عدد أحاديثه. نُقل عن سُلَيْمان بن بِلال قوله: لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث، أو قال أكثر، فمات وهي ألف حديث ونيف يخلصها عاماً عاماً بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثلة في الدين³.

وقال أبو بكر الأبهري: جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي، - صلى الله عليه وسلم -، وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً، المُسند منها ستمائة حديث، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثاً، والموقوف ستمائة وثلاثة عشر، ومن قول التابعين مائتان وخمس وثمانون.

وقال ابن حزم في كتاب مراتب الديانة: أحصيتُ ما في موطأ مالك فوجدت فيه من المسند خمسمائة ونيفاً وفيه ثلاثمائة ونيف مرسلًا وفيه نيف وسبعون حديثاً؛ قد ترك مالك نفسه العمل بها، وفيه أحاديث ضعيفة وهأها جمهور العلماء.

3- روايات الموطأ.

ذكر القاضي عياض أن الذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رواه أو وقف عليه أو كان في رواية شيوخه، نحو عشرين نسخة، وذكر غيره أنها ثلاثون، وذكر الدهلوي المتوفى عام 1139 هـ في كتابه "بستان المحدثين" أن نسخ الموطأ التي كانت رائجة في عصره ست عشرة نسخة كل نسخة عن راو خاص، وغير ذلك، ومن بين هذه الروايات:

- رواية علي بن زياد التونسي (ت. 183هـ)، وقد اعتنى بالقطعة التي وصلتنا من الكتاب محمد الشاذلي النيفر، وطبعت في دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الخامسة سنة: 1984.

- رواية محمد بن الحسن الشيباني (ت. 189هـ)، وطبعت طبعات عديدة.

- رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم (ت. 191هـ).

- رواية أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة القَعْبِيّ (ت. 221هـ)، وقد طبعت قطعة منها.

³ - ترتيب المدارك / 1 / 193.

-رواية عبد الله بن وهب المصري (ت.197هـ)،نشر قطعة منها المستشرق الألماني ميكلوش موراني ،وطبعت في دار الغرب الإسلامي، ببيروت، سنة: 2002م.
-رواية سُؤيد بن سعيد الحدثاني (ت. 240 هـ)،حققها عبد المجيد تركي،وهي مطبوعة.
-رواية أبي مُصعب أحمد بن أبي بكر الزُّهريّ (ت. 248 هـ)، وفيها زيادات على الموطّات نحو مئة حديث،وقد طبعت بتحقيق بشّار عوّاد معروف ومحمود خليل.
-رواية يحيى بن يحيى اللّيثي المصمودي (ت.234هـ) ،وقد تعددت طبعاتها..

4- أهمية رواية يحيى بن يحيى اللّيثي

يقول ابن عبد البر اعتمدت على رواية يحيى بن يحيى المذكورة خاصة لموضعه عند أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم، ولكثرة استعمالهم لروايته وراثته عن شيوخهم وعلمائهم⁴.
"و رواية يحيى أكثر الروايات رَوَاجًا واشتهارًا وتداولًا بين العلماء، وإذا أطلق موطأ مالك انصرف لها وتبادرَ الذّهن إليها"⁵.وقد اعتمدها الناس في المغرب والمشرق وشرحوها وصحّحوها.

5- منهج مالك في تأليف الموطأ

لقد تولى الإمام مالك توضيح منهجه في تأليف كتابه الموطأ، وبيان ما اشتمل عليه من الأحاديث والآثار قائلا: "فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة والتابعين ورأي، وقد تكلمت برأيي وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا ولم أخرج من جملتهم إلى غيره".
وقد احتوى الموطأ على أقسام:

- أحاديث متصلة
- أحاديث مرسلة
- أحاديث منقطعة.
- أحاديث موقوفة
- بلاغات
- أقوال الصحابة والتابعين

⁴ - التمهيد: 10/1.

⁵ -بستان المحدثين33،وانظر مقدمة تحقيق المسالك في شرح موطأ مالك:1/139.

- ما استنبطه من الأحكام من الفقه المستند إلى العمل أو إلى القياس، أو إلى قواعد الشريعة.

6- منزلة الموطأ بين كتب الحديث

يرى جمهور المحدثين أن الموطأ دون رتبة الصحيحين ، ونقل الحافظ ابن حجر: أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرها، وقد تعقب الحافظ السيوطي كلام الحافظ هذا بقوله «ما فيه من المراسيل فإنها مع كونها حجة عنده بلا شرط، وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل فهي أيضا حجة عندنا، لأن المرسل عندنا حجة إذا اعتضد، وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد، فالصواب إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء»⁶ .

وبما أن المحدثين لا يعتدون بالمرسل والمنقطع لذلك جعلوا رتبة الموطأ دون رتبة الصحيحين، وبعد أن حكم ابن حزم على الموطأ بأن فيه أحاديث ضعيفة رتبه في الطبقة الأخيرة من كتب الحديث، إلا أن الحافظ الذهبي رد عليه قائلا : «ما أنصف ابن حزم، بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين»⁷.

ويرى الحافظ ابن العربي وجمهور علماء المغرب أن الموطأ مقدم على الصحيحين، قال ابن العربي في "العارضة" : «الموطأ هو الأصل الأول واللباب، والبخاري الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي»⁸ ، وقال في القبس : «الموطأ هو أول كتاب ألف في شرائع الإسلام، وهو آخره، لأنه لم يؤلف مثله ، إذ بناه مالك رضي الله عنه على تمهيد الأصول للفروع، ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليها مسائله»⁹، ورأى الدهلوي أن كتاب الموطأ ينبغي أن يوضع في الرتبة الأولى مع الصحيحين¹⁰ .

لكن الراجح لدى الجمهور أن مرتبة "الموطأ" تأتي بعد "الصحيحين" والله تعالى أعلم. وقد عده بعض العلماء سادس الكتب الستة، منهم رزين ابن معاوية السرقسطي (ت 535 هـ) في كتابه "الجمع بين الكتب الستة"، والمجد ابن الأثير (ت 606 هـ) في كتابه "جامع الأصول"¹¹

⁶ - تنوير الحولك 8/1.

⁷ - (سير أعلام النبلاء: 201/18 - 203) .

⁸ - عارضة الأحوذى: 10/1.

⁹ - القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: 75/1.

¹⁰ - انظر: مقدمة أوجز المسالك 94/1.

¹¹ - جامع الأصول: 200/1.

7- العناية بالموطأ

قال القاضي عياض: لم يُعْتَنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ، فإن الموافق والمخالف اجتمع على تقديره وفضله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه. فأما من اعتنى بالكلام على رجاله وحديثه والتصنيف في ذلك فعدد كثير من المالكيين وغيرهم¹². ومن هذه العناية نذكر ما يلي:

- 1 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبد البر النمري (ت 46 هـ).
- 2 - الاستذكار لما في الموطأ من المعاني والآثار للمؤلف السابق.
- 3 - المنتقى في شرح موطأ إمام دار الهجرة لأبي الوليد الباجي (ت 474 هـ).
- 4 - المسالك في شرح موطأ الإمام مالك لأبي بكر بن العربي (ت 543 هـ).
- 5 - القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، له أيضا.
- 6 - تنوير الحوائك على شرح موطأ مالك لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ).
- 7 - شرح مآل علي سلطان محمد القاري الحنفي (ت 1014 هـ).
- 8 - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت 1122 هـ).
- 9 - المسوى في شرح الموطأ لقطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت 1176 هـ).
- 10 - أوجز المسالك إلى شرح موطأ مالك لمحمد زكريا الكاندهلوي.